الترابط الجدلي في الدراما
بين الشكل الفني والتأثير في المجتمعات

أ.د/ مروان نايف عدوان
أ.الشارف عبدالمولى السنوسي
قسم المرئية بكلية الفنون والاعلام جامعة طرابلس

المقدمة :

اليوم وفي ظل الانفتاح الإعلامي الفضائي الهائل تنتشر وتتعدد الفضائيات مع التطور التكنولوجي الحديث لوسائل الاتصال المتعددة والمختلفة , وفي ظل تضاعف وجود الرقيب على ما يبث وينشر تتعدد الأفكار والرؤى وتكثر المواضيع بمختلف أطروحاتها . كل هذا يحدث لجلب وجذب المتلقي للعديد من أنواع الدراما المعروضة والتي تغزو وطننا العربي وبكل اللهجات واللغات.

من هنا حق لنا أن نتساءل ألا يمكن أن يكون لهذا التدفق الدرامي والبرامجي من أهداف ووظائف يهدف المرسل الوصول إليها من خلال ما يعرضه لنا التلفزيون من دراما متعددة الأشكال والأنواع (سياسية– اجتماعية– دينية– ثقافية .... إلخ) .

وهنا نتذكر قول الفيلسوف الصيني (كونفشيوسي) الذي يقول "صورة خير من ألف كلمة " لما لتأثير الصورة وردود أفعالها عند المتلقي . لقد كان لظهور البث التلفزيوني في الوطن العربي (هذه التكنولوجيا) والتي كان أولها في العراق سنة 1956 , حينئذ كان يطلق على مصطلح (التلفاز) بالضيف الثقيل على الأسرة , وبعد فترة وجيزة أطلق عليه مصطلح أحد أفراد الأسرة ثم بعد ذلك أصبح يطلق عليه مصطلح أهم أفراد الأسرة على الإطلاق لأنه لا يمكن اليوم أن نرى أو أسرة لا تمتلك جهاز أو عدة أجهزة من التلفاز في المنزل , وأن الأسرة تقضي ساعات طويلة في مواجهته ومتابعته وخاصة بعد الانفتاح الفضائي الحاصل اليوم .

وهذا الجهاز الذي نجلس أمامه لساعات طويلة يبث لنا دراما وبرامج مختلفة من أفلام ومسابقات لابد أن تترك أثرها فينا شئنا أم أبينا , هذا الجهاز على درجة كبيرة من الخطورة في التأثير على المجتمع بمختلف أنواعه . على الرغم أن له العديد من المنافع اذا استخدم باليد اليمنى الصالحة , والعديد من المضار إذا استخدم باليد اليسرى الطالحة . هذا الجهاز ومن خلال ما يعرض لنا من دراما عديدة يؤثر ببعضنا البعض ,فقد أصبحت البرامج والدراما المستوردة أو الدراما المدبلجة تستهدف اليوم الجماهير العربية والإسلامية لاقتلاعها من واقعها وتقاليدها ونظمها القيمية والروحية.

إنَ قدرة التلفزيون في السيطرة على عقول الناس وتوجيه سلوكهم أفرادا وجماعات , وبعد أن أصبحوا يتلقون معلوماتهم وأفكارهم ونماذج سلوكهم , أكثر مما يتلقون على مقاعد الدراسة ويثقون بكل ما يصدر

عنه بحيث أصبح العالم اليوم يتحدث بلغة الصورة والعقول الالكترونية التي تمثل حضارة العصر الراهن [1] .

من هنا كان للدراما الدور الكبير التي تلعبه وبمختلف أشكالها وأنواعها في التأثير والتغيير في المتلقي وبكافة شرائحه ووظائفه وأعماره .

1.مشكلة البحث :

تتلخص مشكلة البحث بالسؤال التالي ؟

هل الدراما وبمختلف ألوانها تترك تأثيرها السحري على المتلقي بنفس المستوى وتترك لديه انطباع أو

وهم الواقع الحي الذي يعيشه ؟ أم تختلف بتعدد أشكالها بالإضافة إلى التأثيرات الاجتماعية التي تزرعها

فيه .

2.أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في الفرز اللوني لكل نوع من أنواع الدراما والتي تختلف في تقنياتها وآلياتها من نوع

إلى آخر بالنسبة للمسرح أو التلفزيون أو الإذاعة أو السينما كما تكمن أهمية هذا البحث في الفوارق

الموجودة بين الدراما القديمة والحديثة بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه الدراما في الجوانب الإنسانية

القديمة والحديثة أو المعاصرة ، بالإضافة إلى إحاطة كتابنا بما يجب أن يكونوا عليه وما يجب أن

يطرحوه في كتاباتهم حول مشاكلنا وهمومنا الحقيقية .

3.هدف البحث :. هدف البحث يتحدد في النقاط التالية :

1) اطلاع القارئ على الجوانب الإنسانية للدراما .
2) الكشف عن الإنسان الأول وكيف تعامل مع الدراما والتطور التاريخي والاجتماعي لتناول المواضيع المختلفة الاتجاهات من خلال الدراما السياسية – الاجتماعية الناقدة – والدراما الكوميدية الهادفة – والكوميديا السوداء , بالإضافة إلى الجوانب النفسية التي تتركها الدراما في ذهن المتلقي .
3) الكشف عن الوظيفة الفنية للدراما لكشف الجوانب النفسية والاجتماعية وتأثيرها عند المتلقي بإخافته أو تحصينه أو تحذيره أو ترغيبه بما تتضمن هذه الدراما .
4) الكشف عن الترابط الجدلي بين الشكل والمضمون للدراما الحديثة والمعاصرة .
5) إلباس الدراما الوجه المثالي لترك إسقاطات معينة لدى المتلقي مما يترك لديه انطباع ثقافي ديني تاريخي اجتماعي سياسي .....إلخ .
6) إضاءة جديدة للدراسات التي تناولت الدراما والإسقاطات المتولدة عند المتلقي وتأثيرها النفسي في التغيير الاجتماعي .
7) الكشف عن الوظائف التي تلعبها الدراما في التأثير السايكولوجي لدى المتلقي .
8) الكشف عن سلبيات البرامج في الدراما الوافدة إلينا والتي تمطرنا إياها الأقمار الصناعية وبكل لغات العالم للتأثير والتغيير والسيطرة والتبعية .
9) إيجاد موضع قدم للدراما العربية لإثبات الهوية والشخصية العربية وترسيخ تعاليم ديننا الإسلامي في كافة أركان المعمورة والتي تتعرض له قيمنا وأعرافنا للتشويه من قبل الآخر.

اولا: أصل الدراما

فن الدراما تطور تدريجيا عن أغنية تقليدية ورقصة مصحوبتين بطقوس دينية وقد قامت نظريتين عن نوع وهدف تلك الطقوس الدينية المصحوبة برقص وغناء واستعمال للأقنعة وجميعها تشمل العناصر الأولية التي تطورت منها الدراما .

النظرية الأولى ترى إن بداية الدراما في الطقوس التي كانت تحتفل بانتصار قوة الحياة على الموت , تلك الاحتفالات التي لازلنا نجد لها أثرا في الفن الشعبي (الفولكلور) لكثير من الشعوب مثل الطقوس التي نجدها في في المهرجانات الفولكلورية الاوروبية ثم رقصات السيوف التي لازالت تمارس حتى اليوم بين الهنود والامريكيين والافريقيين والاسترال وفي بحار الجنوب وفي غينيا الجديدة .

أما **النظرية الثانية** فتقول ان الدراما نابعة من طقوس مقابرية يكرم فيها الموتى كي ينالوا الأبدية- وكي يستمر في قيادة وحماية الأحياء , وهذه النظرية لها ما يعززها فيما تمارسه القبائل البدائية من طقوس درامية تستعرض مفاخر الملوك الموتى وتدل المظاهر المبكرة لتطور الدراما في أنحاء العالم أن هذا التطور كان متماشيا مع خدمة الطقوس الدينية والكنائسية ولقد أكد بعض المؤرخين أن الدراما كانت موجودة في مصر مابين السنة ال4000 و السنة 3000 قبل الميلاد وهذا ما أوحت به الرسومات الفرعونية والتي فسرت على أنها تمثل الكهنة وهم يرتدون أقنعة على شكل حيوانات يمثلون بها الآلهة ويقدمون عروضا في المقابر والمباني الملحقة في الأهرامات وفي الجزيرة العربية وتركيا وإيران وبعد وفاة الرسول صلَ الله عليه وسلم حُكي عن مسرحيات تناولت معاناة الحسين والسيدة فاطمة وفي الصين كانت طقوس الرقص والغناء تمثل جزء كبير من احتفالات الحصاد , وظهر أن الدراما الحقيقية تطورت في الصين بعد ذلك كثيرا, وقد ظهرت طقوس متداخلة في الدراما في كل من التبت والهند الشرقية وكوريا واليابان, أما في أوروبا فهناك شبه إجماع على ان الدراما تطورت فيها عن الطقوس الدينية اليونانية القديمة .[2] لقد كان الإنسان البدائي يعيش في صراع مستمر مع قوى الطبيعة من حوله وذلك من أجل الحصول على

ضروريات الحياة من شيء يأكله ومكان يأويه , وقد عرف عن الإنسان البدائي أنه كان يهوي محاكاة الطبيعة على الرغم من قلة محصوله من أوليات الكلمات الأساسية , فقد عبر عن نفس

الانفعالات بالفرحة أو الحزن بطريقةلا تختلف كثيرا عن انسان العصر الحديث.[3] إن الدراما بمفهومها الحديث المتكامل ليست شيء توصل اليه الإنسان في يوم وليلة , شأنها في ذلك شأن أي فن مارسه الإنسان في تاريخه كله, ولكن حياة الإنسان الأول وتمعنه في الظواهر الطبيعية من حوله كانت توفر له جيلا بعد جيل أو قرنا بعد قرن عنصر من عناصر البناء الدرامي التي لم تكن اللغة في المراحل الأولى أداة أساسية للتعبير عنه , خاصة إذا تذكرنا ان الدراما فن أدائي أساسا, فالمسرحيات التي توارثها البشرية منذ أول مسرحية إغريقية متكاملة حتى مرحلة ما تسمى (بالكوميديا الجديدة) في تاريخ المسرح الروماني كان جميعها مسرحيات شعرية , وهذا لا يعني انفصال الشعر عن الأدب المسرحي , من هنا كان المسرح يبحث عن أداة للتميز اللغوي , فلم يجد أمامه أفضل من الشعر , وحين حدث ذلك كانت الدراما قد اكتملت عناصرها تقريبا , وبعد أجيال وقرون من التطور وبعد أن كانت أدوات التعبير فيها عبارة عن إيحاءات أحيانا ورقص أحيانا أخرى ثم الغناء في نهاية الأمر , أو كل هذه الأدوات مجتمعة والغناء هناء يعتبر نوعا من الشعر غير الناضج لكن الشعر بمفهومه الحقيقي بدأ استخدامه في المسرح الإغريقي على يد رائد المسرح (اسخيلوس)[4].

أخيرا نقول قد يتبادر لذهن البعض أن الدراما تعني الأعمال المأساوية , إلا أن المصطلح هو في أساسه تعبيرا عن كل أشكال الإنتاج الفني من مسرح وسينما وإذاعة وتلفزيون , شرط أن ينطوي على شكل من أشكال الصراع في الحياة ليجسده على الشاشة , ويقدم المخرج رؤيته لإنهاء الصراع , وفي كثير من الأحيان ينظر الناس إلى الفن بشكل عام والدراما بشكل خاص باعتبارها وسيلة للترفيه لا أكثر, في حين أن الدراسات النفسية تؤكد تخطي الدور الذي تقوم به الدراما الى أبعد من ذلك بكثير فهي في مجملها تقوم بإشباع حاجات هامة للفرد والمساعدة في فهم النفس البشرية , الدراما البشرية تقوم على المحاكاة والمحاكاة هي تقليد أو تجسيد للشيء المحاكي , من هنا فقد أكد أرسطو في كتابه فن الشعر على أن الدراما هي (محاكاة فعل نبيل تام) ومن هنا كان بالإمكان طرح الأفكار أو الدراما النبيلة أو غير النبيلة التامة .

ثانيا : الدراما والحياة

تقوم الدراما بدور كبير في جميع مجالات المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية , ويمكن للأعمال الدرامية في مجتمعاتنا أن تدعوا إلى زيادة الإنتاج وترشيد الاستهلاك وحب العلم والمعرفة والتحلي بالقيم الإنسانية السامية والمتسامحة والقيم الايجابية والبعد عن القيم السلبية وإعلاء نماذج تكون قدوة للشباب والأطفال وكافة شرائح المجتمع ، كما ان عشرات الكتب ومئات الخطب المؤثرة لا تؤثر في الجمهور مثلما يؤثر فيه فيلم أو مسلسل هادف ،وهذا يفسر التأثير الواضح للدراما والصورة على أفراد المجتمع [5]

فالسلوكيات وأسلوب الحياة المعروضة تشكل حتما أثرا فعالا في سلوكيات وأسلوب الحياة المعاصرين ، إننا نعمل ودون وعي على أن نعكس حياتنا الخاصة ووجهات النظر وأنماط السلوك المقبولة ، التي رأيناها في المسرح أو السينماأو التلفزيون [6].

إن تأُثير الدراما وبمختلف أنواعها وألوانها وأشكالها على الوقت والمقصود هنا بالوقت الحياة ، هذه الحقيقة التي نعيش من خلالها حياتنا بكل أجزائها ، ففي نفس الوقت نعمل ونتعلم وأثناءه ونربي أولادنا ويمارس أولادنا أنشطتهم ويحققون رغباتهم أيضا فالوقت هو الحياة التي نعيشها . وبقدر ما تستطيع أمة أية أمة تنظيم وقتها وتسخيره لتحقيق أهدافها ، فإنها سوف تحقق مستويات أعلى من النجاح وليس ذلك على مستوى الأمة ، بل على مستوى الأفراد أو الفرد , فإن نجاحه مرتبط بتنظيم وقته , فالطالب الذي ينظم وقته ، هو الذي يحدد أهدافه غالبا والفشل في تنظيم الوقت يسبب سلسلة متلاحقة من أنواع الفشل [7] .

وفي المجتمعات البشرية نجد فيها عرض التناقضات , وتجسيد النماذج البشرية المتنوعة وهذا يؤدي إلى استعراض عميق للدوافع الإنسانية والغرائز والرغبات , لذا فإن أهم خصائص الدراما أنها تعمل على مساعدة المتلقي على تقمص ما يشاهد , فهو يتخذ موقفا إيجابيا من أحد الشخصيات التي يشاهدها ويتوحد معها عاطفيا ويكتسب الخبرات التي تعرض لها . وتتحول النماذج التي تعرض أمامه الى جزء أصيل في حياته الإنسانية التي تساعده على فهم الحياة واتخاذ القرارات بالإضافة إلى اكتساب القيم و الأفكار .

إن المجتمعات النامية تتعرض اليوم إلى العديد من أنواع الدراما والبرامج التي تروج للسعادة المزيفة التي تعيشها المجتمعات الغربية والتي تتستر من خلالها على الظلم و المعاناة والتمييز العنصري الذي تعيشه المجتمعات الغربية، فضلا عن التناقضات والأمراض والانحرافات الاجتماعية والفوضى القيمية التي تعيشها تلك المجتمعات والتي لا تعكس منها وسائل الأعلام المعاصرة إلا القليل النادر .

من هنا تصور الدراما المعروضة اليوم من خلال الفضائيات المتعددة الأشكال والمشارب للمشاهدين بأن الوصول للرفاهية الاجتماعية والاقتصادية لا يتم إلا من خلال السلوك الغربي , بغض النظر عما يحمله هذا السلوك من انحرافات أخلاقية , كما أن العديد من الفضائيات تجمع المشاهدين على التخلي عن قيم وعادات اجتماعية عربية رصينة وعقائد دينية سامية , بدعوى العنصرية والديمقراطية ومحاربة الإرهاب [8]

إن الدراما التلفزيونية تقدم العديد من القيم والأفكار في صورة عميقة وسريعة التغلغل في النفس البشرية من خلال المعايشة , ويختلف هذا التغلغل من متلقي الى آخر وحسب الوعي والعلم والثقافة والمجتمع الذي ينتمي إليه , وفي كثير من الحالات يتأثر الفرد بمسيرة الأبطال خلال العمل الدرامي وتضحيتهم في تحقيق أحلامهم وكسبها فتزود المتلقي بقيم العمل والحلم والرغبة في استكمال مسيرته الخاصة في الحياة أو في تعامله مع المشكلات التي يواجهها فالدراما ممثلة بالكلمة والتي هي وسيلة التعبير عن أفكار ومشاعر ورغبات الأشخاص الذي تخيلهم الكاتب ومن هنا نستطيع أن نقول أن الدراما تجمع بين التسلية والتعليم [9].

أخيرا تنبع أهمية الموضوع من طبيعة الارتباط الجدلي بين الآداب والفنون من جهة والحياة وقوانين تطورها من جهة أخرى , وتقف الدراما في هذا المجال في مقدمة تلك الأنواع الأدبية والفنية .[10]

ثالثا : أشكال الدراما

يوجد أشكال عدة للدراما الفنية , ولكل شكل طريقته بالمعالجة للفكرة أو الموضوع المطروح ولسنا في بحثنا هذا بصدد الخوض في أشغال التأليف الدرامي وإنما نريد التأكيد على أشكال الدراما الفنية التي يمكننا تسميتها بفن (الزمان و المكان) فالكلمات التي يتبادلها الممثلون أثناء العرض الدرامي يجب أن توحي بأكثر من مجرد حديث متبادل بين أشخاص, فباستعمال الكلمات وحدها يخلق الكاتب الدرامي الشخصيات وكذلك الأحداث التي تورطوا فيها هذه الأحداث تأخذ شكل (حبكة) لها شكل وهدف وتلتزم بالخلفية والزمان و المكان التي يتصور الكاتب أن الأحداث وقعت فيها [11].

لذا فان أشكال الدراما نستطيع حصرها بالتالي:

1- التراجيديا :

هي نوع من الدراما تتناول خبرات أشخاص تثير في الملتقى الشفقة والخوف , وهذه الخبرات يجري تصويرها من ناحية علاقات الأشخاص بأشخاص آخرين , في ظروف خارجة عن إرادة الإنسان , حيث يواجه البطل الكوارث والقوى الخارجية , وتوصف هذه الدراما بأنها جادة وتهدف الى إثارة الانفعال العاطفي داخل المشهد , وتكون أحداثها محتملة الوقوع ويشيع فيها جو الحزن والأسى وفيها نسبة قليلة من الترويح[12] .

2- الكوميديا :

هذه الدراما تصور الشخصيات في مواقف هزلية فكاهية , أفعالها مناقضة للسلوك العام الممارس في المجتمع من أجل إثارة الضحك للمتفرجين على حماقات البشر بدلا من البكاء عليهم . وفي هذا الجانب يأتي تعريف أرسطو للكوميديا فيقول " إنها محاكاة لأناس أردياء (أي أقل منزلة من المستوى العام)

ويقصد بالرداءة هنا نوعا خاصا فقط هو الشيء المثير للضحك والذي يعد نوعا من أنواع القبح . (13)

وتختلف الكوميديا عن التراجيديا في أنها تصل إلى حل التعقيد الموجود في الدراما بنوع من التوافق بين القوى المتصارعة لإعلان انتصار الحياة بانتصار الإنسان وقدرته على الاستمرار وتخطي الصعاب لذا فقد وصفها أرسطو بأنها الشكل الدرامي المناقض للتراجيديا والتي تحمل طابع الإضحاك والتي مصدرها ثلاثة عناصر هي الشخصية واللغة والموقف .[14]

3- الميلودراما :

هذا النوع كان رائجا أوائل القرن التاسع عشر ثم بدأت الموسيقى تقل تدريجيا , وهي مسرحيات ذات حوادث مذهلة وخاتمة مثيرة ورومانسية , وفيها بعض المستويات الأخلاقية فمثلا ترتبط الفضيلة بالفقر , والرذيلة ترتبط بالثروة وأبطال الميلودراما هي نفس شخصيات الكوميديا التقليدية, فالشخصية السامية يمثلها من يرتدي ثياب الملك أو السيدة ذات الشعر الجذاب والجميل والشخصية التي تجسم الشر المنتصر يمثلها من يرتدي زي البارونات .[15]

إن أوضح معالم الميلودراما العدالة الأخلاقية بدقة شديدة , لذا نجد أن الفضيلة تكافأ والرذيلة دائما تعاقب , كما أن الميلودراما تستمد موضوعاتها من التاريخ والصحف والقصص والروايات المعروفة أم المشاكل الاجتماعية التي يقوم المخرج بمعالجتها , وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر نوع من الميلودراما يشابه إلى حد ما الدراما , الطبيعة الجادة ونجد هذا في أعمال "ساردو" وأتباعه .[16]

4 . الفارس:

هي دراما فيها الشيء الكثير من الجدية , ويقوم الحدث فيها على المقالب المضحكة والنكت اللفظية والمواقف المعقدة والإحساس الذي يوصله (الفارس) هو إحساس جاد في أساسه ويمكن وصفه بالإحساس الحزين , ويعتبر نوع من الكوميديا ويثار فيه الضحك على حساب الاحتمالات وخاصة في الحركات المبالغ فيها , وموضوعها

الأساسي استعراض غباء الإنسان عندما يواجه مفارقات بيئية , كان قائما مع بداية الدراما الكلاسيكية في اليونان , وعاصر (الفارس) الدراما الحديثة في أوروبا وانتشر في فرنسا , وتطلق كلمة (فارس) على مسرحية كاملة تتعامل مع موقف سخيف أو غير مقبول أو معقول في الاستعمال الحديث والقيمة الأدبية للفارس لا تستحق الذكر . (17)

5 . التراجيكوميديا :

ويطلق عليه أحيانا الدراما الرومانسية – الدرام – هذا النوع يعالج الأفعال الجادة ولكن هذه الجدية غير مستمرة على الدوام , ولكنها فنية وتنشأ من ظهور قوى شريرة تعمل على عرقلة سير الأحداث السعيدة بالنسبة للشخصيات , تشبه التراجيدية إلى حد ما , وتشبه الكوميديا من حيث المواقف الهزلية , لذا تقسم إلى قسمين : (**الخير والشر**) وشخصياتها الشريرة لا تجد من المتلقي إلا الكره والبغض أما الشخصيات الخيرة فتلقى المحبة والاحترام. (18)

6 . السايكودراما :

تنطوي هذه النوعية من الدراما بالنظر إلى الإنسان في ضوء تأثره بمخزوناته الباطنية التي تحتوي على تجاربه وانطباعاته وردود أفعاله لذا تسمى (بالدراما النفسية) وتعمل هذه الدراما على الكشف عن الانطباعات الدقيقة التي توجه الإنسان أو تهتم على بمعاملة الشخصية على أنها نتيجة وقائع خاصة وغرائز فطرية وتجارب موروثة (19)

ومن المعروف أنه في الدراما على الكاتب أن يرسم الشخصية ويكتب لها الحوار ويرسم انفعالاتها الداخلية والخارجية ويحدد ردود أفعالها ويرسم أهدافها وطموحاتها بل ويتدخل حتى في أحلامها ويدخل في عقلها حتى وهي صامتة لا تتكلم.

أخيرا هناك أنواعا أخرى من الدراما منها على سبيل المثال لا الحصر **(البورسك)** وهو نوع من التقليد الجد بالهزل دخل في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1868 وقد اضطرت الرقابة إلى إغلاق الكثير من هذه المسارح التي تطرح هذا النوع من الدراما بسبب التجرد من الملابس , كما نجد (البانتومايم) بالإضافة إلى دراما **(المايم)** والتي لا مجال لذكرها في هذا البحث. (*)

رابعا : الدراما ونظرية التطهير عند أرسطو والتأثيرات النفسية للمتلقي

إن الدراما تؤدي دورا كبيرا في كسب عواطف المتلقين لأن فيها من الجاذبية القوية لدى المتلقي , وكلما كانت فكرة الدراما متسلسلة كلما كان التفاعل أكثر , لأن من طبع الإنسان أن يكسب التجارب من غيره لكي يسد الفراغ الموجود داخله ويستفيد من تجارب الحياة , والإنسان بطبعه طموح إلى أن يكون أكثر من مجرد كيان فردي , بل يطمح إلى أن يكون أكثر اكتمالا ولا يقبل أن يكون فردا منعزلا بل يسعى إلى الخروج من جزئية حياته الفردية إلى حياة كلية يرجوها ويتطلبها ويرغب بأن يحتوي العالم المحيط به ويجعله ملكه. [20]

وإذا انطلقنا من فرضية أن الإبداع الفني الدرامي نشاط إنساني يهدف عن طريق الاسترجاع الواعي لتجربة حدثت , فالتمثيل الافتراضي لتجربة محتملة إلى اصطناع تشكيل رمزي ملموس يهدف بدوره إلى انتظام تجارب حياتية جديدة أو احتمالات قائمة لتجارب قد تحدث وفي نسق الوعي الذي ينظم حصيلة تجارب وخبرات سابقة , وإذا افترضنا أن التلقي الفني نشاط من نفس النوع أي نشاط معرفي يهدف إلى ترجمة التجربة المتلقاة إلى معني لها دلالاته الخيالية أو المتوقعة أو المحتملة (أي بمعنى يمكن انتظامه في نسق الوعي) بحيث يتفاعل مع خبرات وتجارب المتلقي السابقة ويدخل في نظامه المعرفي الذي يتعامل من خلاله مع العالم في نطاق الممكن والمحتمل [21] . ومن خلال الصدمات النفسية ونشر الأوهام يتعايش المتلقي مع الأحداث ويتقمص وجدانيا الأفكار والمشاعر المطروحة عليه ليخرج بعدها إلى الواقع فيجد الحياة بعيدة كل البعد عن تصوراته وأفكاره فيفقد الثقة بالواقع وينسحب من الحياة , ويشعر بالبؤس , وهنا قد يبدو الحديث مبالغ فيه ولكنها الحقيقة تحدث ببطء شديد وعلى فترات متباعدة , فكم رأيت من قبل نماذج للدراما التلفزيونية وفي قرارة نفسك

رأيت أنها مجرد خيال أو فيلم وكيف تتحول النهايات دائما إلى سعيدة وكيف ينتصر الخير دوما ويهزم الشر .

هل رأيت أو وجدت نفسك من قبل تبحث في الحياة عن العدل الالهي , الصورة التي رأيتها في الدراما من قبل , إنه التأثير الدرامي البطئ يزرع الأفكار ويتركك تواجه الحياة بنظرة جديدة . والغزو الفكري والثقافي الذي ظهر مؤخرا عبر بعض الأصوات التي تطالب بإيقاف عرض الدراما التركية على الشاشات نتيجة لما تقوم به من غزو ثقافي للعقول , وبرغم أن هذه الأصوات تطالب بأمر غاية في السطحية نظرا لكوننا في عصر الفضاء المفتوح إلا أن الحقيقة تؤكد قدرة الدراما التلفزيونية على الغزو الثقافي والفكري طوال الوقت , وهذا ما يحدث على مدار السنوات الطويلة الفائتة سواء من خلال الدراما التركية أو السورية أو الأمريكية وكذلك الدراما المصرية في الشرق الأوسط , لنجد أن اللغة والثقافة اليومية والعادات والتقاليد كلها يتم عرضها من خلال هذه الدراما بشكل مرن ومتناغم يصعب الشعور به وإدراكه في نفس اللحظة , وهذا الأمر لا يتوقف على الغزو من خارج الدولة بل في الحديث عن عرض ثقافة المدنية وعاداتها على الجمهور في الأرياف والضواحي , هذا هو الغزو الكلي الذي يؤدي إلى تنكر للثقافة الشخصية واستبدال الثقافة الجديدة بالقديمة وخاصة في ظل حالات انعدام الانتماء السائد والطموح الذي يؤدي إلى خلق الصورة النمطية لخلق مفاهيم مغلوطة عن الحب والسعادة والنجاح والانتماء, ويتحول المشاهد بالتالي من متلقي إلى عاقد للمقارنات بين وضعه المادي ووضع أبطال العمل الدرامي وبين أسرته وأسرتهم , كما أن المرأة تقارن بين تعامل زوجها وتعامل البطل الدرامي مع البطلة في تعبيره عن الحب والهدايا ووسائل الترفيه .

إن كل هذه التفاصيل الدقيقة تتحول إلى معيار للمقارنة من قبل المتلقي دون أن يدرك معايير الحياة الحقيقية من معايير الحياة الفنية التي يسطرها الكاتب والمخرج في العمل الدرامي وهذا ما جعل البعض ينادي القائمين على الأعمال الدرامية بالنزول قليلا إلى أرض الواقع والبعد عن الأحلام والتركيز على طبقات معينة في المجتمع وهذا ما جعل (يوربيدسي) يهتم بالأصل بإشكالية مزدوجة , كيف يرتبط الفن بالعالم وكيف يرتبط العالم بالفن [22] .

وفي هذا الجانب لابد أن نذكر أن أرسطو يعتبر أول من طرح (التطهير) بمعنى الانفعال الذي يحرر من المشاعر الضارة وذلك في كتابه (فن الشعر) وقد حدده كغاية للتراجيديا من حيث تأثيرها

الطبي والتربوي على الفرد , فقد ربط بين التطهير والانفعال الناتج عن المصير المأساوي للبطل الدرامي واعتبره هو الذي ينجم عن مشاهدة العنف ويشكل عملية تنقية وتفريغ لشحنة العنف الموجودة عند المتفرج مما يحرره من أهوائه .

وقد ربط أرسطو في كتابه (علم البلاغة) ما بين مشاعر الخوف والشفقة اللذين بهما المتفرج الذي يمثل نفسه في البطل المأساوي وبين التطهير, كذلك ربط أرسطو في كتاب السياسة مابين التطهير و الموسيقى حسب أنواعها وذلك من منظور طبي بحث أعتبر الموسيقى (التطهيرية) صالحة لعلاج بعض الحالات المرضية التي يكون فيها المريض مسكونا بالأرواح , ذلك أن الموسيقى العنيفة تسيطر على المستمع وتملكه وتحقق النشوة الانفعالية واللذة فتكون بمثابة العلاج الذي يداوي المستمع ويطهره وينقيه .

وأشهر التفسيرات البديلة لكلمة (التطهير) بأنه مصطلح أخلاقي أكثر من كونه مصطلحا طبيا ويعني تنقية وليس إزالة أو تطعيم ولهذا كان مفهوم أرسطو للدراما أنها (محاكاة للبشر خلال فعل) ونتبين أن الفعل لا الكلمة هو الذي يعد صلب الدراما لذا أكد أن عناصر الدراما هي ستة :

الحبكة – الشخصية . الفكر– اللغة . الأغنية . المنظر [23] . لذا قرر أن هدف الدراما بوجه خاص هو تطهير الروح عن طريق الانفعالات التراجيدية التي هي الشفقة والخوف [24] .

واليوم وفي عصر ما يسمى الفضاء المفتوح فإننا نشاهد أنواعا كثيرة من الدراما عربية تركية أوروبية أمريكية ...إلخ مترجمة أم مدبلجة تمطرنا بها السماء لتجد لها موطئ قدم على هذه الأرض لتعم المعمورة كافة .

خامسا: الدراما وتأثيرها الاجتماعي

لقد اعتبرت الدراما من أبرز سبل التعبير علاوة على سرعة تأثيرها لأكبر قاعدة من الجمهور, وبخاصة إذا كان الجمهور محدود الثقافة , وتؤكد العديد من الدراسات بأن الشكل الدرامي و بكافة أشكاله و أنواعه هو أقوى الأشكال الفنية استهواء عند عامة الناس , و تعد الدراما شكلا اتصاليا مميزا يكمن خلفه الفكر و القيم حيث تساهم في تعزيز قيم وفكر المجتمع , كما تمثل مكونا فنيا لا يستهان به في صياغة آراء

الجماهير وثقافتهم تجاه القضايا المطروحة في المجتمع سواء الحالية أو المستقبلية [25] .

ويوجد اهتمام كبير بالتأثيرات الإيجابية والسلبية للدراما وخاصة التلفزيونية منها . وهذا يرجع إلى التأثير على الاتجاهات والقيم والسلوك والعادات والتقاليد وسرعة الانتشار من خلال التلفزيون كونه يعد القاسم المشترك للحياة , لقد ساهمت قدرة كتاب الدراما على تحسين قضايا المجتمع وإضافة معاناة الواقع بارتباط البشر بما يعرض عليهم من تثقيف أو ترفيه لأنهم وجدوا ذواتهم تتحرك أمامهم وتعلن عما بداخلهم , كما وجدوا فيها اكتساب للمعارف الأولى من خلال الصراع بين الخير والشر, ومنذ البدايات الأولى لنشوء البشرية . وهذا ما دفع مؤلفي الدراما إلى كتابة المزيد من الأعمال الدرامية وتقديم مضامين جديدة مستمدة من واقع حياتهم الحقيقية .

لقد أصبح للإرسال التلفزيوني مكانة متميزة بين وسائل الإعلام وخصوصا بعد انتشار الفضائيات , فقد قامت إحدى المؤسسات العلمية بحصر عدد الدراسات والبحوث المتعلقة بمدى تأثير البث التلفزيوني في السلوك الإنساني وتكوين الرأي العام فوجدت أن عددها تجاوز 2300 دراسة وهذا العدد في تزايد مستمر وبالتالي يزيد كثيرا على عدد الدراسات التي أجريت عن باقي وسائل الإعلام , إذا فالبث التلفزيوني ينقل للطفل قيما وعادات وتقاليد لا تستطيع الأسرة التحكم بها , كما أن التلفزيون سهل الاستعمال ومشاهدته أيضا من قبل الأطفال دون مساعدة أفراد الأسرة , كما أن الأطفال يمضون حوالي 16 ساعة أو يزيد أسبوعيا أمام التلفزيون وهذا يشير إلى مدى تأثير هذه الوسيلة الإعلامية فيهم [26].

وهنا لابد من الإشارة إلى الدور المهم والخطير جدا لما تلعبه الصهيونية في العالم وذلك بعد سيطرتها على معظم وسائل الإعلام في العالم من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون وسينما , ومنذ عام 1798 في مؤتمر سويسرا (بازل) إلى يومنا هذا فقد ورد في (بروتوكولات حكماء صهيون) أنهم سيطروا فيما بعد على الإذاعة والتلفزيون وبالتالي على الفضائيات العالمية و العربية , ولو تنبه العرب إلى فضائياتهم وتمويلهم وطرق بثها وبرامجها وتحليلاتها سيجدون أثار لليد الصهيونية ولليهود خدمة لقضايا اليهود والوقوف حائلا أمام أماني العرب والفلسطينيين .ولا مجال للخوض في ذكر آلاف الأفلام السينمائية التي تمجد اليهود أو تتعاطف معهم ، أمثال إليزابيت تايلور وجين فوندا وغيرهم الكثير والكثير [27] .

ومن خلال الدراما والصدمات النفسية ونشر الأوهام يتعايش المتلقي مع الأحداث ويتقمص وجدانيا الأفكار والمشاعر المفروضة عليه ليخرج بعدها إلى الواقع الحقيقي الذي يعيشه ليجد الحياة بعيدة كل البعد عن تصوراته وأفكاره فيفقد الثقة في الواقع وينسحب من الحياة ويشعر بالبؤس . إذا تتحول الحقيقة إلى حلم داخل المتلقي ببطء شديد وعلى فترات متباعدة , فنستنتج أن الدراما على الرغم من أنها خيال ومقدمة من قبل ذات إنسانية , وعلى الرغم أن وظيفتها إنسانية إلا أن تأثيرها يتعدى حدودها الإنسانية إلى أبعد الحدود , وكيف دائما ينتصر الخير ويهزم الشر و البحث عن العدل الإلهي الموجود داخل الدراما .

هذا هو التأثير الدرامي البطئ الذي يزرع الأفكار, ومما يجدر الإشارة إليه أن هناك أصوات عدة طالبت بإيقاف عرض الدراما التركية التي غزت الفضائيات العربية وبمعظم اللهجات العربية ونتيجة لما تقوم به من دور خطير ومؤثر, أو السورية أو الأردنية وحتى المصرية إلا أن هذا لم يلق آذانا صاغية , فاللغة والثقافة والعادات والتقاليد يتم عرضها كلها من خلال الدراما التلفزيونية بشكل سلس ومرن ومتناغم يصعب الشعور به وبتأثيره باللحظة الحالية , بالإضافة إلى عرض ثقافة المدينة وعاداتها على جمهور الأرياف والضواحي , كل هذا هو غزو وتأثيره سريع ويؤدي إلى إنكار الثقافة الشخصية واستبدال الثقافة الجديدة بالقديمة وخاصة في حالات انعدام الانتماء السائد , وفي تعميم مفاهيم مغلوطة عن الحب والسعادة والنجاح , فيصبح المتلقي في مقارنة خطيرة ومدمرة عندما يقارن بين ما يحدث في هذه الدراما وبين واقعه الحقيقي الذي يعيشه هو وأسرته وبالتالي مجتمعه من حيث الوضع المادي والحياة والرفاهية والهدايا والأموال ..... إلخ

هذا ما يدفعنا اليوم إلى إرسال صرخة قوية ومذوية إلى كتاب الدراما العربية أن أصحوا أيها النائمون وإلى متى سيكون لدينا التقليد هو القاعدة والإبداع هو الاستثناء , عليكم أيها السادة تقع مسؤولية كبيرة في أن تصحوا وتصحوا الناس معكم في التأكيد على أن الخيال الذي يلعب دورا كبيرا عند الكاتب والجانب الذاتي الذي يكون له دور كبير في التأثير في الجانب الموضوعي على المتلقي , و أن يكون لكم دور توعوي في إرساء قواعد الحق والعدل وتقويم الاعوجاج الحاصل عند المتلقي العربي بإرشاده ومن خلال الدراما والأعمال الفنية التي تؤكد واقعه وحقيقته وكيف يجب عليه العمل من أجل أن يجد له موطئ قدم في هذا المجتمع الكبير المختلف الاتجاهات .

انزلوا إلى الأرض قليلا وحاولوا إبعادنا عن الأحلام الوردية التي لا يمكن تحقيقها بالواقع وحاولوا

التركيز على هموم ومعاناة الفرد العربي وحاولوا ربط الفن بالعالم وربط العالم بالقيمة .

سادسا : الخاتمة

إن معظم كتاب الدراما اليوم سواء على الصعيد العالمي أو العربي يؤكدون على موضوع يعاني منه العالم اليوم ألا وهو (الإرهاب) والذي عجز العالم حقيقة (وهذا مقصود جدا)على تعريف كلمة (الإرهاب).والحقيقة تؤكدها وسائل الإعلام مجتمعة بدءا من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والعرب . أن الجميع عليهم أن يقاوموا هذا الإرهاب . وهذه الكذبة التي زرعها الغرب في أذهان الجميع وكان هو من يقود هذا الإرهاب في العالم .

فقد أجادت الفضائيات الأمريكية والعالمية المؤيدة لأمريكا في الحرب النفسية والمالية المستوا أثناء

الغزو الأمريكي والحلفاء للعراق سواء قبل الغزو أم بعده , ولم تنجح الفضائيات العربية في شن حرب نفسية مضادة بسبب نقص الخبراء والخبرات في هذا المجال [28].

ومن هذا المنطلق على كتاب الدراما العربية وفي كافة الأقطار العربية أن يعوا ويأخذوا على عاتقهم الدور المنوط بهم من أجل المجابهة والتصدي لما يحدث اليوم سواء من قبل الامبريالية العالمية المتجسدة بالولايات المتحدة أو الصهيونية العالمية التي تنخر في جسد هذه الأمة .

لذا علينا أن نضع النقاط على الحروف وأن نعي هذه المسؤولية الخطيرة الملقاة على كتابنا ومثقفينا وخبرائنا والنخبة التي تتشتت هنا وهناك , نتيجة للوضع الحالي الذي يعيشه وطننا العربي في ضوء التخلف والتمزق والإرهاب الحاصل اليوم .

علينا أن نؤكد في دراماتنا العربية على العقل وليس على العاطفة , وأن ننشط مراكز الدراسات والبحوث وأن نؤكد على الدراما التي تهم الإنسان العربي المسلم و نسف القوالب الهشة علينا أن نعري من يقف وراء هشاشة الشخصية العربية والتأكيد على انحطاطها , وعلينا أن نقوم المسيرة التي عانت الكثير من الأمراض , ومن هنا وكما يقول المثل "أن تشعل شمعة خيراً من أن تلعن الظلام" حتى ولو أتت هذه الأسطر متأخرة فلا ضير, لأنه ليس العيب على الإنسان أن يقع ولكن العيب أن يقع ويبقى حيث وقع .

وهنا نستحضر المثل العربي القديم الذي يقول عندما تصاب الفرس بمرض عضال يطلق عليها الرصاص فهل من مجيب قبل إطلاق رصاصة الرحمة على هذه الأمة ؟

وما يجدر الإشارة إليه أخيرا ونتيجة للضعف الحاصل والتمزق الذي يعاني منه وطننا العربي مما حدى بالرئيس الأمريكي (ترامب) إلى الإعتراف بسيادة اليهود والصهاينة على القدس الشريف ونقل السفارة الأمريكية للقدس وعدم سماع أي ردود أفعال حقيقية وفاعلة وصادقة اتجاه ذلك من العرب مما حدى به أخيرا إلى التوقيع على سيادة الصهاينة على الجولان المحتل 1967, واهداؤه للصهاينة متجاهلا الشخصية العربية وضاربا بعرض الحائط للقيم والأعراف العربية والإسلامية وأن لا رجاء ولا خوف من هذه الأمة ولن تستطيع فعل شئ نتيجة لضعفها و خنوعها , وهذا ما أثار العديد من الدول الأوربية وحتى غير العرب على هذا القرار, لذا إستفيقو أيها العرب , أما حان لهذا الفارس أن يترجل و أصحوا قبل أن يفوت الأوان ولات ساعة مندم .

فمن مات دفاعا عن ماله وأرضه وعرضه مات شهيدا فى سبيل الله .

هذه السطور هي صرخة في ظل هذا الجو المشحون والملئ بالمتناقضات علها تكون ذا تأثير في عقول ووجدان كل كتابنا ومخرجينا وقاصينا وأولي الأمر منا وكل من له علاقة بالموضوع , بالاهتمام بالمواطن الذي وصل به الحد أن يعمل ويأكل فقط , ويكفر بكل القيم والأعراف والتقاليد " أليس هذا صحيحا في ظل الظروف التي تعيشها أقطارنا العربية اليوم ؟ " .

عليكم اليوم واجب الربط بين الإنسان العربي ومعاناته وصولا إلى حلحلة مشاكله وهمومه ليدعو لكم بالشكر والثناء على ما قدمتموه له.

عليكم اليوم أن تعدوا العدة من برامج وخطط إعلامية لإفشال هذه السيطرة الصهيونية الأمريكية بدلا من الصراعات العربية الداخلية .

سابعا: المصادر

1) مصطفى حميد كاظم الطائي , الفنون الإذاعية والتلفزيونية وفلسفة الإقناع , الاسكندرية , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , ط1, 2007 , ص82

2) للإستزادة انظر حسين رامز محمد رضا , الدراما بين النظرية والتطبيق , بيروت , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 1972 , ص32 .

3) سعيد بن مبارك آل زعير , التلفزيون والتغيير الاجتماعي في الدول النامية ، لبنان , دار مكتبة الهلال , 2008، ص206.

4) حسين رامز محمد رضا ، مصدر سابق ، ص28

5) مروة محمود جمال الدين ، الدراما والمجتمع ، القاهرة ، دار الفكر العربي ط ا ، ب ت ، ص15

6) مارتن اسلين ، تشريح الدراما ، ترجمة اسامة منزلجي , الأردن , دار الشروق للنشر والتوزيع ط1 , 1987 , ص123 .

7) كوركنيان , الدراما , ترجمة جميل نصيف ط2 , بغداد , دار الشؤون الثقافية العامة , 1986, ص11

8) مصطفى حميد كاظم الطائي , مصدر سابق , ص76 .

9) حسين رامز محمد رضا , مصدر سابق , ص28 .

10)عادل النادي , مدخل إلى كتابة الدراما , تونس , 1987 , مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله ط1 , ص9 .

11)حسين رامز محمد رضا , مصدر سابق , ص29 .

12)حسين الشاوش , الدراما المدبلجة في الفضائيات العربية واتجاهات المراهقين في ليبيا نحوها , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الفنون والاعلام جامعة طرابلس , 2010 , ص79 .

13)اسماعيل عبد الحافظ , استراتيجية الاتصال الثقافي في دراما المسلسلات التلفزيونية العربية , دراسة ماجستير غير منشورة , جامعة الجزائر , قسم علوم الاعلام والاتصال , 2013, ص28

14)محمود محمد كحيلة , معجم مصطلحات المسرح والدراما , الجيزة , دار هلال ط1 , 2007 , ص56

15)آشلي ديوكس , الدراما , ترجمة محمد خيري , القاهرة , عالم الكتب , 1970 , ص31

16)حسين رامز محمد رضا , مصدر سابق , ص56 .

17)عدلي سيد محمد رضا , البناء الدرامي في الراديو والتلفزيون , القاهرة ,1988, شركة دار الاشعاع للطباعة , ص55 .

18)عادل النادي , مصدر سابق , ص88 .

19)أحمد زكي بدوي , معجم مصطلحات الاعلام , القاهرة , دارالكتاب المصري – بيروت– دار الكتاب اللبناني ط1 , 1985, ص71.

* انظر حسين رامز محمد رضا , مصدر سابق , ص67–62 .

20)ميسر العبادي , الدراما التلفزيونية ودورها في الدعوة إلى التسامح والتعايش السلمي , مجلة الدراسات التاريخية والحضارية , مجلة علمية محكمة , جامعة بغداد , كلية الآداب , قسم الإذاعة والتلفزيون في العدد 17 , 2013 , ص96 .

21)زياد صليحة , المسرح بين الفكر والفن , القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1986 , ص16.

22)مارثن كارلسون , نظرية المسموح في عرض نقدي وتاريخي من الإغريق إلى الوقت الحاضر , ترجمة د. وجدي زيد , الجزء الأول , المكتبة العربية للنشر والتوزيع ب . ب , 1997 ,ص17 .

23)مارثن كارلسون , مرجع سابق , ص22.

24)د.سامية أحمد علي , د. عبد العزيز شرف , الدراما في الإذاعة والتلفزيون , القاهرة , دار الفجر للتوزيع والنشر , ط4 , 2006 , ص45 .

25)حسن الشاوش , مصدر سابق , ص74 .

26)فارس عطوان , الفضائيات العربية ودورها الاعلامي , الأردن , دار أسامة للنشر والتوزيع , 2009, ص93 .

27)فارس عطوان , مصدر سابق , ص231 .

28)فارس عطوان , مصدر سابق , ص97 .